الأهرام

المصدر : المدينة
التاريخ : ٧ رجب ١٤٠٢ هـ

المسلمون المنسيون

الاسلام فى الاتحاد السوفييتى
المظهر الديمغرافى والادارى

فى هذا الجزء الثانى من كتاب « المسلمون المنسيون » يتناول المؤلفان دراسة المظهر الديمغرافى البشرى والادارى للمسلمين فى الاتحاد السوفييتى وقد قاما بتقسيم هذا الجزء الى اربعة اقسام كبيرة أولها تعريف كلمة « مسلم » ، والثانى عدد المسلمين فى الاتحاد السوفييتى ، والثالث دراسة المجموعات العرقية واللغوية ، أما الرابع والأخير فيعكف على تصنيف الشعوب الاسلامية ووحداتهم الادارية .. وتنشر « المدينة » فى هذه الحلقة القسمين الأولين اللذين تضمنهما الجزء الثانى من هذا الكتاب .

١ — تعريف كلمة « مسلم »

حسب المعطيات التى لاتزال غير مكتملة للاحصاء السكانى السوفييتى الأخير (١٩٧٩) ، يوجد فى الاتحاد السوفييتى ٤٣ مليون و٣٩٥ الف مسلم على عدد اجمالى للسكان يبلغ ٢٦٢ مليون و ٨٥ الف نسمة . ويتوزع هؤلاء السكان المسلمون على سبعة وثلاثين شعبا : منهم ، وقوميات أو مجموعات عرقية ذات اهمية متفاوتة . يعيش ٧٥ بالمائة منهم فى آسيا الوسطى و ٢٥ بالمائة الباقية تعيش موزعة بين القوقاز وفولغا الوسطى والأورال . كما نجد ايضا مجموعات صغيرة من المسلمين فى سيبيريا الغربية وفى روسيا الوسطى وفى لوتيانيا — بيالوروسيا . واخيرا توجد تجمعات لمهاجرين مسلمين فى كامل أرض الاتحاد السوفييتى .

ان صفة « المسلم » المنطبقة على هذه الشعوب ليست دينية فقط وانما تتعلق ايضا بأصلهم القومى كما يملاوها ببعض السمات السيكولوجية والثقافية والاجتماعية الخاصة بهم والتى تشكل مجموعة متميزة تسمح بتصنيفهم تحت هذا الاسم .

ولتبسيط مشكلة معقدة يمكن القول بأن المسلم السوفييتى هو عضو فى أمة كانت قبل الثورة تنتمى الى عالم الاسلام . ويمتد هذا العالم الى قارات ثلاث ويضم مؤمنين من كل الاجناس والثقافة واللغة ، وقاسمهم المشترك هو خضوع المؤمنين الى قانون الهى لاجدال فيه ، مدون فى القرآن الكريم والسنة والحديث ، ومفسر من قبل فتاوى المفتين ومن قبل التقليد و « العادات » ذات المصلحة المحلية تارة والعامة تارة أخرى .

ان الايمان بالله واحد وبرسالة رسوله هو قاعدة الاسلام ولكن على الصعيد الفردى فان العقيدة تظل أمرا خاصا بين الخالق وبين خليقته فلا يشتمل الاسلام السنى على « مؤسسة » دينية ، ولا يظهر التعبير عن العقيدة الشخصية بالضرورة فى نظر العالم الخارجى ، لكن

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

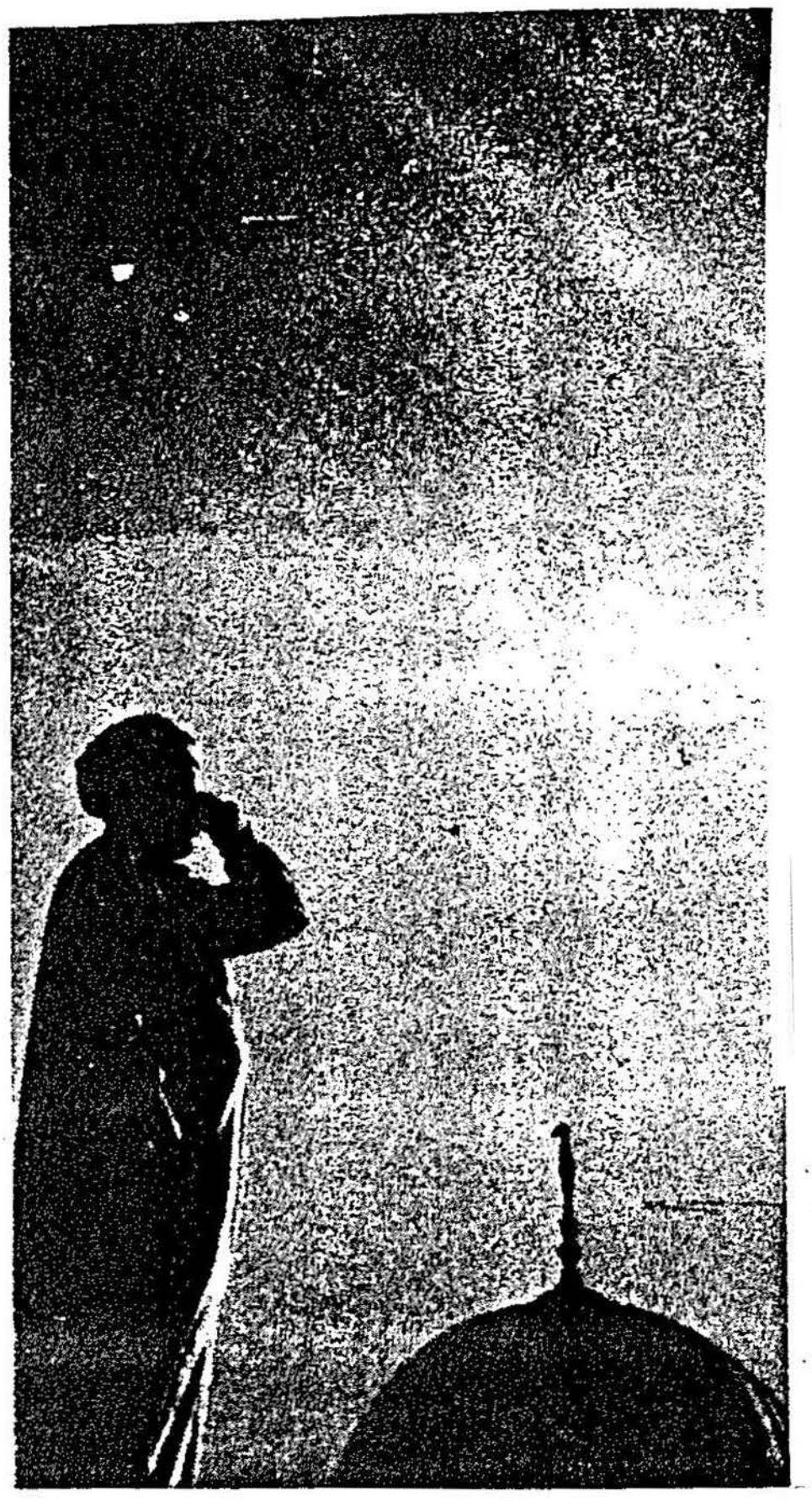

بالمقابل فان مايظهر هو السلوك العام للجماعة والمبنى على هذا التقليد الاساسى ويمكن لهذا السلوك البقاء حتى اذا كانت العقيدة قد تم المساس بها : يظل المرء مسلما اذا خضع للقوانين الاسلامية ، او حتى (فى الاتحاد السوفييتى) اذا ما اتبع « طريقة الحياة الاسلامية » ، فالايمان بالله ضمنى .

فى الاتحاد السوفييتى جاءت اكثر المفاهيم حداثة – المتغيرة واحيانا الاعتبارية – لتضاف الى هذا الاساس التقليدى القديم دون الغائه او حتى المساس به بجدية . فالقومية والدين تختلطان بعض الاحيان فى الوعى والشعور الشعبى الى درجة ان احترام القواعد الدينية او المفترض انها دينية يعتبر سمة مميزة للقومية : « المسلم فقط يمكن له أن يكون اوزبكيا » ، و« لايمكن ان يكون المرء مسلما دون ختان » . وهذه الفكرة المتفشية حتى بين المثقفين غير المؤمنين ، بل والملحدين ، توضح شكل تجيد سلوك الشعوب الاسلامية فى لاتحاد السوفييتى . وتمثل تعاليم الشريعة والسنة وسلطة كبار السن ، وتعاليم التقاليد من اصل دينى ، تمثل بالنسبة اليهم واقعا ملموسا وواضحا يكون جزءا من كيانهم اكثر من الماركسية او اية ايديولوجية اخرى جديدة من اصل اجنبى والتى هى بسبب ذلك مشبوه فيها .

وان هذا الخلط بين المفهوم الدينى والسلوك الناجم عنه من ناحية ، والتعريف القومى من ناحية ثانية يجب اخذه كأساس لتطابق الافراد او المجموعات بوصفهم كمسلمين . وهذه حقيقة اكيدة الى درجة ان المجموعات القومية المختلطة (الاسلامية – المسيحية) فى الاتحاد السوفييتى تمثل استثناء نادرا ، ونسجل هنا هذه الاستثناءات للذكرى :

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية